أثر الخدمات المقدمة للحجاج في زيادة أعدادهم بعد دخول الملك عبد العزيز مكة عام ١٣٤٣هـ

أ.د. عبد العزيز راشد السنيدي
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم

ملخص البحث:

كان دخول الملك عبد العزيز -رحمه الله- مكة عام ١٣٤٣هـ فاتحة خير على استقرار الأوضاع في بلاد الحجاز، حيث حرص منذ الوهلة الأولى لدخوله على تنظيم شؤون المنطقة الداخلية في شتى المجالات، بعد أن كانت تعاني الكثير من المشاكل والأزمات المتنوعة. ولا غرو أن تكون هذه التطورات وتلك التغيرات التي طرأت على أرض الحرمين الشريفين .والتي تُعد نقطة تحول في تاريخهما مثار تقدير وإعجاب وإكبار من قبل القاطنين والحجاج والقادمين إليها، بعد أن تبدلت الحال بين عشية وضحاها، فراح هؤلاء وأولئك يلهجون بالدعاء، كما بدأوا ينقلون صور هذا التغير الإيجابي إلى أصقاع المعمورة، فتشجع المسلمون لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام بعد أن كانوا محجمين أو مترددين بسبب سوء الأوضاع الأمنية والاقتصادية في المنطقة. ومن هذا المنطلق فقد رأيت أن اكتب عن "أثر الخدمات المقدمة للحجاج في زيادة أعدادهم بعد دخول الملك عبد العزيز مكة عام ١٣٤٣هـ"، وسوف اتناول تحت هذا العنوان لمحات من الخدمات التي تم توفيرها في مكة والمشاعر المقدسة وطرق الحج المارة في منطقة الحجاز في شتى المجالات، ثم أوضح كيف كان لذلك أثره في التزايد المضطرد في أعداد الحج في السنوات الأولى من دخول الملك عبد العزيز رحمه الله مكة.

المقدمة:

نالت مكة المكرمة أهمية تاريخية كبيرة، وعمقا دينيا عظيما، ولقد تتابع على خدمة مكة وأهلها والقادمين إليها من حجاج ومعتمرين وزوار ووافدين مختلف الحكومات الإسلامية، وفي عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله تعالى- اختلفت الأوضاع الأمنية والمعيشية فبعد أن عانت المنطقة الكثير من المشاكل التي أثرت على سير الحج ومجيء الحجاج إلى بلاد الحجاز في أواخر العهد العثماني تبدلت الأوضاع جذرياً بسبب ما بذله الملك عبد العزيز من جهود جبارة في جميع المجالات، وقد نجح في ذلك وتحقق له ما أراد بشهادة البعيد قبل القريب. وقد جاءت هذه الورقة لترصد بشكل عام الخدمات التي قُدمت لخدمة أرض الحرمين والقادمين إليها من الحجاج والمعتمرين والزوار من قِبل الملك عبد العزيز في مختلف الجوانب وفق المستجدات التقنية المعاصرة، وبيان أثرها في راحة الحجاج وتزايد أعدادهم، وهذا ما أكدته المصادر المعاصرة التي كانت تتبع أحداث الحج أولاً بأول.

أهداف البحث:

- بيان التقدم الحضاري الذي شهدته مكة المكرمة بعد دخول الملك عبد العزيز بالوقوف مباشرة على الأحداث، من مصادر معاصرة وناقلة للحدث مباشرة.
- التأكيد على أن هدف الملك عبد العزيز من ضم الحجاز توفير الأمن والحماية للمسلمين لأداء فريضة الحج.
- إبراز ملامح التطور التي استجدت في مكة في شتى الجوانب بعد دخول الملك عبد العزيز.
- تتبع الإجراءات التي استجدت في الحرمين ووفرت الراحة والاطمئنان للحجاج والأهالي في بلاد الحجاز.
- معرفة آراء المعاصرين من المسؤولين وكبار المثقفين حول مدى التطور الذي شهدته بلاد الحرمين بعد ضمها لحكم الملك عبد العزيز.
- بيان أثر الخدمات المتعددة التي استجدت في بلاد الحرمين على زيادة أعداد الحجاج القادمين لأداء فريضة الحج.

منهجية وطرق البحث:

تتبع جهود الملك عبد العزيز وأعماله المختلفة في مكة المكرمة بعد دخوله لها سنة ١٣٤٣هـ، ومتابعته للإجراءات والمشاريع التطويرية بنفسه في سبيل التأكد من راحة الحجيج وسلامتهم، وذلك من خلال ما ذكر الباحثون، وأكده المعاصرون، وأثبته الكتاب والصحفيون خاصة من خلال صحيفة أم القرى السعودية ومجلة الفتح المصرية.

بعد أن نجح الملك عبد العزيز رحمه الله في توحيد منطقة نجد، ثم أتبعها بشرق البلاد، ثم منطقة عسير، فضلاً عن إنهاء حكم آل رشيد في حائل، شرع في التخطيط لإنقاذ بلاد الحجاز مما كانت تعانيه من مشاكل أمنية، وأزمات اقتصادية، وقلة في الخدمات، فضلاً عن منع دخول حجاج بعض الأقاليم لأداء مناسك الحج [١]. وبالفعل فقد تحرك بقواته إليها في سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، ونجح في ضم الطائف، ثم دخل مكة المكرمة في شهر جمادى الأول من العام نفسه محرماً، دون أي مقاومة تذكر، بعد أن أعطى أهلها الأمان، حرصاً على عدم انتهاك حرمة المقدسات. وبعد أن أقر الأوضاع في مكة، تحرك إلى جدة فاستسلمت له في السنة التالية، ثم توجه إلى المدينة المنورة وضمها لحكمه. ومنذ الوهلة الأولى لدخول الملك عبد العزيز مكة المكرمة وهو يعمل كل ما في وسعه للقضاء على المشاكل والصعوبات التي واجهت الأهالي والحجاج سواء الأمنية منها أو المعيشية أو الصحية، وتقديم التسهيلات وتوفير الخدمات كافة، وكان يحرص أن يباشر ذلك بنفسه، فيرحل إلى مكة في مواسم الحج للوقوف على الترتيبات والاستعدادات لاستقبال الحجاج، سواء من حيث التأكد من الوضع الأمني لتجاوز المخاطر التي كانوا يتعرضون لها قبل دخوله مكة، أو تقديم كافة الخدمات الضرورية لهم في سبيل أداء مناسكهم بيسر وسهولة.

أولاً: الخدمات المقدمة للحجاج بعد دخول الملك عبد العزيز مكة:

تعددت الجهود وتنوعت الإجراءات المتخذة في سبيل حل الكثير من المشاكل السابقة، وتهيئة كافة السبل لراحة الحجاج، وسوف نستعرض أبرز هذه الجهود والإجراءات حسب نوعها لنرى كيف كانت سبباً مباشرًا في تشجيع المسلمين لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام بعد أن كانوا محجمين أو مترددين بسبب سوء الأوضاع الأمنية والاقتصادية في المنطقة، فتزايدت بمرور السنوات الأولى من ضم الملك بلاد الحجاز أعداد الحجاج زيادة ملحوظة ومضطردة، بعد أن أمنوا على الأنفس والأموال واطمئنوا عليها.

١ .الجوانب الأمنية:

وحيث يعني الأمن الكثير للناس، وفي مكة هم أكثر حاجة إليه، بل هو ضرورة ملحة، فقد دعا بذلك إبراهيم عليه السلام عندما قال: "ربنا اجعل هذا بلداً آمناً". لذا فقد حرص الملك عبد العزيز على هذا الجانب فقام في سبيل ذلك بالكثير من الإجراءات التي أراحت الناس وجعلتهم يطمئنون على أنفسهم وممتلكاتهم، فمنذ الوهلة الأولى لدخول الملك عبد العزيز مكة سنة ١٣٤٣هـ، وإشرافه على موسم الحج في هذه السنة بدأت مظاهر التغير تتجلى في الأفق، وأدركها دون عناء المقيمون في مكة فضلا عن القادمين إليها من الحجاج، والذين قاموا بتدوين ما لاحظوه من تطور، وصرحوا بما لقوه من تعامل مختلف عن ذي قبل. ويشهد التاريخ للملك عبد العزيز دعوته المسلمين لأداء فريضة الحج وهو محاصر لمدينة جدة سنة ١٣٤٣هـ فسعى إلى تطمين العالم الإسلامي على وجود الاستقرار الأمني وتهيئة كافة السبل لأداء الحج حيث أصدر منشورًا عامًا يدعو إلى أداء فريضة الحج، وذكر أنه خصص القنفذة والليث جنوبي جدة ورابغ شمالها، لاستقبال الحجاج بدلًا من جدة المحاصرة ويقول: "إن الأمن مستتب في تلك الثغور وفي الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة"[٢]. من جانب آخر فقد قام الملك عبد العزيز في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م باستحداث نظام الشرطة، ومن أبرز ما أُسند لهذا الجهاز إرشاد التائهين من الحجاج إلى أماكن إقامتهم، وضبط الأمن بين الحجاج، وتأمين الطرق داخل مكة المكرمة وخارجها، والتصدي لأعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها قطاع الطرق وإيقاف جرائمهم [٣]. إضافة إلى ذلك فقد حرص الملك عبد العزيز على تحقيق الأمن والراحة للحجاج وذلك بالحدّ من استغلال الحجاج، فأمر بإبطال الإتاوات التي تؤخذ منهم من قبل بعض القبائل التي يمرون عليها في الطرق، ووضع نظاماً لنقلهم بين الأماكن المقدسة

---

(١) لمزيد من المعلومات حول أمن الحج قبيل دخول الملك عبدالعزيز مكة ، انظر : (إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ ؛ عبدالعزيز بن سليمان المقبل ، أمن الحج في عهد الملك عبدالعزيز ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب ، المجلد ١٦ ، العدد ٣٢) . .

(٢) إبراهيم بن عويض العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز، تطوره وأثاره (١٣١٩ .١٣٧٣هـ)، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ، ص١٧١.

(٣) سليمان محمد الخضيري: أمن الحج في عهد الملك عبد العزيز، مجله الأمن، العدد السابع عشر، ذو القعدة ١٤١٣هـ، الإدارة العامة للعلاقات بوزارة الداخلية، ص٦٤.

بأجور ميسرة[٤]. كما أمر الملك عبد العزيز بوضع دوريات أمنية ثابتة ومتنقلة لتسهيل راحة الحجاج، وعدم إزعاجهم من السائقين وغيرهم في أماكن إقاماتهم وفي الطرق التي يعبرونها، وسماع شكواهم والسعي في حل كل ما يعترضهم من مشاكل[٥]. وكانت الترتيبات الأمنية المختلفة قد عُممت بالإضافة للطرق على مكة والمدينة والمشاعر المقدسة وذلك لضمان تأدية الحجاج لمناسكهم بيسر وسهولة. من جانب أخر فقد سعى الملك عبد العزيز على تثبيت النظام من خلال منع حمل السلاح في مكة، وترتيب مراكز على الطرق خارجها لاستلام السلاح من كل قادم ويعطى وصلاً باستلامه منه، ورده له بعد الخروج منها[٦]. وقد أشاد المولوي كفاية الله رئيس وفد العلماء الهندي بالتطور الأمني في الحجاز في ظل حكم الملك عبد العزيز، وذلك بعد أن حج عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، فقال: "منذ أن استولى ابن السعود على الحجاز لا شك أن النهب والسلب الذي كان يقع في الطرق، والمصائب والمشقات التي كانت تحصل هناك لم يبق منها شيء، وكانت القوافل لا تذهب إلا إذا كانت مؤلفة من مائة جمل أو مائتين، أما اليوم فيمكن أن يذهب الرجل الواحد والاثنان. وكانت القوافل أولاً تنهب بأجمعها، أما اليوم إذا كانت القافلة واحدة فلا جرأة للبدو أن يدخلوا فيها ويتكلمون من الخارج، ويقولون إذا دخلنا فإن الحكومة تذبحنا، وهذا الأمن لا شك فيه" [٧]. ونقلت مجلة الفتح المصرية صوراً لهذا التغير الأمني، ومما جاء فيها حول هذا الموضوع، كلام نقل من جريدة الأخبار فيه حديث مع عظيم من عظماء القطر المصري (لم يحدد اسمه) عن جوانب مختلفة شاهدها أثناء حجه عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ومن ذلك الأمن في بلاد الحجاز حيث قال إنه لا يكاد يوجد له نظير في أعظم البلاد الأوربية تمتعاً بسعادة الأمن ". كما وصف الحالة العامة في الحجاز .سواء الأمنية أو غيرها . بأنها "حسنة جداً إذا قسناها بحالة الحجاز السابقة، فإنك تجد يد الإصلاح التدريجي قد امتدت إلى معظم الشئون العامة" [٨]. وقال شكيب أرسلان: "أما الأمان فقد توافر في أيام ابن سعود إلى حد لا يتطلع فيه إلى المزيد، وإنما يرجو دوام هذه النعمة"[٩]. وذكر إبراهيم المازني أن القافلة الواحدة المحملة بالمغري من البضائع تسير من جدة إلى مكة وليس معها من الحرس سوى طفل واحد [١٠].

٢ .الجوانب الإدارية:

استحدث الملك عبد العزيز في شهر ربيع الأول ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م إدارة خاصة بأمور الحج، ويتكون مجلسها من كبار المسؤولين في مكة، وتختص هذه الإدارة بـ"تقديم التسهيلات لضيوف الرحمن والإشراف على تنظيم أمورهم بصفة عامة. سكناً وانتقالاً وأداء مناسك. وتنظيم أماكن استقبالهم "استراحة الحجاج" ووضع لافتات باللغات العربية، والأردية، والتركية، والإندونيسية، والإنجليزية، كما هيأت استراحات لهم على الطرق المؤدية إلى الحرمين الشريفين، وساهمت مع الشرطة في إنشاء هيئات الحج الموسمية المكونة من "الشرطة، الصحة، البلدية، الإسعاف، الأوقاف، رؤساء المطوفين والإدلاء والنقباء" وتم إنشاء محطة إذاعة محلية في منى وعرفات لنشر أسماء الحجاج التائهين وكانت تقدم الإعاشة اليومية لفقراء الحجاج لما لا يقل عن ثمانمائة حاج"[١١].

٣ .الجوانب الصحية:

بادر الملك عبد العزيز في أول سنة دخل فيها مكة المكرمة بإنشاء مصلحة الصحة العامة فيها، وتقوم بإصدار النشرات والإرشادات الصحية العامة للحجاج، وإنشاء ما تحتاجه المنطقة من المستوصفات والمستشفيات والمراكز الإسعافية الثابتة والمؤقتة، فضلاً عن الإشراف الصحي على مساكن الحجاج، ومع مرور الوقت تم تطوير هذه المراكز بالتجهيزات والكوادر الطبية اللازمة[١٢]. كما تم وضع المحجر الصحي

---

(٤) لطيفه عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م . ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، دراسة تاريخيه وثائقية، مكتبه الملك فهد الوطنية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٥٩.

(٥) وليد محمد الجميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد ال عزيز١٣٤٣ – ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص١٠٧-١٠٨.

(٦) عبد العزيز بن سليمان المقبل، أمن الحج في عهد الملك عبد العزيز، ص٢١٨).

(٧) صحيفة أم القرى، ع٩٦، ١٣٤٥/٤/٨هـ، ص٢.

(٨) مجلة الفتح، س٢، ع٥١، غرة محرم ١٣٤٦هـ، ص٩.

(٩) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ط١، مطبعة المنار، مصر، ١٣٥٠هـ، ص٨٠.

(١٠) رحلة الحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م ، ص٧٠.

(١١) إبراهيم عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، ١٤١٤هـ، ص ١٧٢.

(١٢) وليد الجميل: مرافق الحج، ص١٢٩. ١٣٤.

في جزيرتي سعد والواسطة وهما جنوب جدة، وذلك للتأكد من خلو القادمين من الحجاج وغيرهم من الأمراض، وتقديم النصائح والإرشادات المساعدة للوقاية من الأمراض [١٣].

٤ .توفير الخدمات المائية:

ولإدراك الملك عبد العزيز لأهمية المياه وضرورة توفيرها للحجاج فقد أولى هذا الجانب عناية فائقة، فحرص على توفير المياه للحجاج منذ أول موسم للحج في عهده [١٤]، فسعى منذ الوهلة الأولى لدخوله مكة في العناية بعين زبيدة [١٥] ورعاية مصالحها وتشجيع القائمين عليها، مما أدى إلى زيادة إنتاجها من المياه [١٦]. كما عُني الملك عبد العزيز بإصلاح العيون والآبار القديمة التي انطمرت وانعدمت الفائدة منها، فقد جاء في مجلة الفتح قولها: تبذل حكومة الحجاز جهدها في زيادة موارد الماء في مكة لتوفير الراحة للحجاج وأهل المدينة، واهتمت أخيراً بالكشف عن قنوات قديمة فوفقت إلى العثور على ماء غزير في أحدها ولا يزال البحث مستمراً عن قنوات أخرى" [١٧]. من جانب آخر حرص الملك عبد العزيز على إدخال التقنيات الحديثة في خدمات المياه، وجلب كبار المهندسين لدراسة مسائل المياه وما يساعد على اكتمال توفيرها للحجاج والأهالي [١٨].

وكان الملك عبد العزيز يتابع هذه المشاريع بنفسه للتأكد من سير العمل بالشكل المطلوب، فقد جاء في مجلة الفتح قولها: "زار جلالة الملك ابن السعود الينابيع التي تتفجر منها مياه مكة وهي: عين زبيدة وعين الزعفران [١٩] والينابيع الأخرى القريبة من مكة ووصل جلالته إلى وادي النعمان للإشراف على الإصلاح الجاري في خزانات عين زبيد وتقسيماتها" [٢٠].

٥ .مجال المواصلات والاتصالات:

كان للمواصلات نصيب وافر من اهتمامات الملك عبد العزيز فحرصاً منه على توفير سبل الراحة للحجاج قبل وصولهم لأرض الحرمين وأثناء تنقلاتهم بين المشاعر المقدسة؛ سعى لتوفير وسائل متطورة للنقل البري والبحري والجوي، كما حرص على فتح الطرق وصيانة القائم منها وحل مشاكلها. وما هي إلا فترة وجيزة حتى أصبحت الطرق المؤدية إلى مكة تستوعب السيارات كبيرة الحجم، فجاء في الديلي تلغراف بعنوان "السفر بالسيارات الكبيرة إلى مكة"، أن هذا السفر سيكون خلواً من المخاطر والعناء، فلا يخشى فيه من الازدحام وسريان الأمراض من الانتقال في تلك المنطقة الحارة، ويخلص الناس من مشقة السير [٢١]. وكان من ثمار تسهيل الطرق وتعبيدها ازدياد ملحوظ في أعداد السيارات في الحجاز، فجاء في مجلة الفتح قولها: "في أخبار الحجاز أن أهلها أخذوا يكثرون من اقتناء السيارات لتشغيلها في نقل الحجاج والأمتعة في موسم الحج نظراً إلى ما يعود عليهم من الربح من وراء ذلك، فلا تصل باخرة إلى جدة إلا وهي تحمل عدداً كبيراً من السيارات"[٢٢]. وقد بلغ عدد السيارات التي تسير في البلاد الحجازية وسجلت عند الحكومة ٢٣٨ سيارة ولا يدخل في هذا العدد سيارات القصر الملكي، ولا سيارات الحكومة [٢٣]. وتحت عنوان (عمران الحرمين) قالت مجلة الفتح ما يلي: "ينتظر أن تطرح وزارة الأشغال العامة الخاصة بمشروعات إصلاح الحرمين الشريفين في مناقصة عامة قريباً. وتشمل هذه الأعمال رصف الطريق ما بين جدة ومكة المكرمة، وما

---

(١٣) وليد الجميل: مرافق الحج، ص١٣٤؛ لطيفة السلوم: التطورات السياسية والحضارية، ص ١٦١.

(١٤) منى بنت قائد آل ثابتة *القحطاني*، *التنظيمات* الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبد العزيز آل سعود، ط١، دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٢٦هـ، ص٢٤٥ .٢٤٦.

(١٥) هي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروفة بزبيدة زوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين. كانت معروفة بالبذل على أهل العلم، والبر للفقراء والمساكين. ولها آثار خيرية كثيرة على طرق الحج العراقية، وكذلك بمكة والمدينة. توفيت ببغداد سنة ٢١٠هـ (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٣٣) .

(١٦) لمزيد من المعلومات، انظر: عادل بن محمد نور غباشي، جهود الملك عبدالعزيز في عمارة عين عرفة، (مقال) ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج١٢ ، ع٢٠ ، ١٤٢١هـ، ص٧١٦ .٧٣٠ .

(١٧) مجلة الفتح ، س٢ ، ع٨٢ ، ١٠ شعبان ١٣٤٦هـ، ص٤.

(١٨) مجلة الفتح ، س٢ ، ع١٠٠ ، ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٦هـ، ص٥ .

(١٩) قال شكيب أرسلان : "عين الزعفران جددتها ملكة أخرى اسمها زعفران قيل أنها من إحدى الأسر المالكة كانت بمصر ، ولم أجد ذلك في كتاب ، فهذه العين مجرورة من وادي حنين من مسافة لا تقل عن مسافة قناة عين زبيدة إلا أن ماء عين زبيدة أغزر وأعذب ، وتتصل قناة الزعفران بقناة عين زبيدة في محلة المعابدة في أول مكة من جهة الداخل من منى " . (الارتسامات اللطاف، ص١٨)

(٢٠) مجلة الفتح ، س٥ ، ع٢٢٦ ، ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ، ص٦.

(٢١) مجلة الفتح ، س٢ ، ع٦٤ ، ٤ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ص٧.

(٢٢) مجلة الفتح ، س٢ ، ع٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ، ص١٤ .

(٢٣) مجلة الفتح ، س٢ ، ع٧٤ ، ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٦هـ، ص١٥ .

بين مكة وعرفات. وإصلاح جميع المواقع الوعرة بالتعبيد أو بالرصف أو بالتعديل في الطريق بين جدة والمدينة المنورة. كما تشمل أيضاً إقامة محطة لتوليد القوى الكهربائية ما بين مكة وعرفات لإمداد مكة بالمياه والنور. وتبلغ نفقات هذه المشروعات حوالي ربع مليون جنيه، وقد سبق لنا بيان الاتفاق بين مصر والحجاز على ذلك"[٢٤]. ويطول بنا المقام لو استعرضنا الأعمال الإصلاحية التي تمت في سبيل تهيئة الطرق لراحة المسافرين، وتتابع وصول سيارات النقل التي استخدمت لنقل الحجاج بين المدن الحجازية والمشاعر.

وفي مجال الاتصالات البرقية والبريدية واللاسلكية حرص الملك عبدالعزيز على تقديم هذه الخدمات كافة في المدن الحجازية وفي المشاعر المقدسة، فضلاً عن وضعها على الطرق فيما بينها، وهذا ما سهل على الحجاج التواصل فيما بينهم ومع بلدانهم[٢٥].

٦. الجوانب العمرانية:

من جانب أخر فقد أولى الملك عبد العزيز عناية فائقة بالمشروعات الخاصة بالحرم المكي وحمايته من السيول الجارفة، وقام بإصلاح وترميم بعض التصدعات التي حصلت في جدران وأسقف الحرم المكي، كما حرص على نظافة الحرم وتعيين عمال خاصين بذلك يتابعون هذه الأعمال، وكذلك وضع بوابين ينظمون الدخول عبر أبواب الحرم، كما قام بإنارة الحرم المكي. وكان حريصًا على أن تكون الأمور المتعلقة بالحرم المكي واضحة وجلية أمام المسلمين، فقد كان يهتم بإصدار تقارير عن حالة الحرم المكي والإصلاحات والترميمات التي تتم فيه من خلال جريدة أم القرى ليبين مدى حرصه على الاهتمام بالحرم المكي وتقديم أفضل الخدمات للحجيج والمعتمرين [٢٦].

ثانياً: الانطباعات عن الخدمات المقدمة للحجاج والمقدسات:

استمر تطور الخدمات في الحجاز من حسن إلى أحسن، وهذا ما دفع الكثير من الحجاج على بعث برقيات الشكر لحكومة الملك عبد العزيز على ما تقدمه من خدمات جليلة لهم أثناء تأدية مناسك الحج، ومن ذلك برقية نشرتها جريدة زميندار الهندية في عددها الصادر في ٤ محرم ١٣٤٨هـ جاء فيها: يثني الحجاج الذين وصلوا حديثاً على الأنظمة والترتيبات التي اتخذتها حكومة الحجاز لتأمين راحة الحجاج، ويشكرون جلالة الملك عبد العزيز الذي لم يدخر وسعاً في توفير وسائل الراحة في جميع الأماكن [٢٧]. كما نشرت الجريدة نفسها في ٥ محرم ١٣٤٨هـ مقالة جاء فيها: "منذ أن استلم الملك عبد العزيز السعود زمام الحكم في البلاد الحجازية استتب الأمن والسكون فيها عما كانت عليه في الأيام السابقة، فإن الطرق كلها مأمونة ولم يسمع بحادث ما، وسكان البادية الذين كانوا بالأمس لا يخلدون إلى السكينة تراهم اليوم يحافظون على أمن الحجاج وراحتهم. ويصرح الحجاج الذين عادوا هذه السنة بعد أداء فريضة الحج أن وسائل راحتهم كانت موفورة في جميع الأماكن، وأن الإسعافات الطبية وكذلك الماء المثلج كان يوزع مجاناً، وكانت الحكومة أخذت الإجراءات اللازمة نحو الصحة العامة فكان لها التأثير الحسن حيث لم يظهر أي مرض وبائي. وكانت السيارات تطوف الشوارع والمنعطفات تتفقد المرضى والمنقطعين وغيرهم، وأن وسائل التنوير ورش الشوارع بماء الاسفنيك وغيرها كانت مستحسن. فهذه الأنظمة وتلك التسهيلات التي لا نظير لها في السابق توجب على الحجاج العائدين رفع رايات الشكر والثناء لجلالة الملك المعظم. ونحن بدورنا نشارك الحجاج في رفع الشكر لجلالة الملك ونسأل الله أن يديم جلالته وأن يوفقه لما فيه الخير والفلاح" [٢٨].

وفي خطبة ألقاها مندوب جريدة كوكب الشرق المصرية الشيخ محمد المصيلحي عبد الله أمام الملك عبد العزيز في يوم عيد الأضحى المبارك في حج موسم ١٣٤٧هـ، قال: "يا صاحب السمو: باسم الصحافة المصرية أحيي فيكم هذه النهضة المباركة وأهنئكم بهذا العيد السعيد الذي يصح أن يسمى بحق عيد الأمن والعدالة. إن العالم الإسلامي مدين لكم بما بذلتم وما تبذلون لرفع شأن هذه الأقطار التي هي قبلة المسلمين قاطبة وموضع التقديس في قلوبهم. إن المقدمات التي شاهدناها تبشر بنتائج عظيمة فأول الغيث قطرة ثم ينهمر. إن من المدهشات التي بهتت أنظار العالم أجمع هذا الأمن المنشور لواؤه على ربوع الحجاز، هذا الأمن الذي لا مثيل له في أي قطر، وذلك بفضل سهركم وبفضل إقامة حدود الشريعة السمحة. قد كان الحاج يختطف ماله ويهدر دمه ويذهب في جوف هذه البادية كأن لم يكن شيئاً مذكورا، فأساء من

---

(٢٤) مجلة الفتح ، س١٣ ، ع٦٤٤ ، ١٨ المجرم ١٣٥٨هـ، ص١٨ .

(٢٥) صحيفة أم القرى، العدد ٥٢٥، في ١٣٥٣/٩/٢٨هـ، ص٣، العدد ٥٢٤، في ١٣٥٣/٩/٢١هـ، ص٢، والعدد ٥٥٧، في ١٣٥٤/٥/١٦هـ، ص١، والعدد ٥٥٨، في ١٣٥٤/٥/٢٣هـ، ص١.

(٢٦) صحيفة أم القرى، العدد ١٤١، في ١٣٤٦/٢/٢٨هـ، ص٢.

(٢٧) صحيفة أم القرى ، ع٢٤٠ ، في ١٣٤٨/٢/١٩هـ، ص٢ .

(٢٨) صحيفة أم القرى ،ع٢٤٠ في ١٣٤٨/٢/١٩هـ، ص٢ .

كان قبلكم إلى سمعة هذه الديار المقدسة، حتى حللتم بها فرفعتم المظالم وأفسحتم طريق الإنصاف حتى عم وشمل، وانتشلتم سمعة هذه البلاد الطاهرة من أرجاس المدحضين أعداء الشريعة وخصوم التاريخ ..... يا صاحب السمو: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض. وها أنتم آمنتم وعملتم الصالحات، وأي صالح عند الله أحسن مقاماً من نشر الأمن وإقامة الشعائر الدينية مبرأة من كل بدعة ونقيصة. أي صالح عند الله أعلى من نشر التعليم وإنقاذ بيته الحرام من أيدي العابثين به. إن الله قد استخلفكم على بيته فارعوا من هذه الخلافة وسيروا في طريقكم، فالعالم أجمع ينتظر نتائج ما بدأتم، وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله. وختاماً تهانينا القلبية وتحياتنا الخالصة إلى صاحب الجلالة الملك العادل عبد العزيز آل سعود"[٢٩].

ثالثاً: تطور أعداد الحجاج بعد دخول الملك عبد العزيز مكة:

لقد أصبح المجال مفتوحاً أمام الراغبين في أداء فريضة الحج سواء من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها بعد أن أزيلت العوائق التي كانت تحول بينهم وبين الحج، كما رأينا ذلك من خلال ما ذكرنا من إجراءات متنوعة اتخذها الملك عبد العزيز، وشهادات الحجاج الذين أشادوا بالتطور الملفت للنظر خلال فترة وجيزة من دخول الملك عبد العزيز المنطقة. فبعد أن انتشرت هذه الأخبار السارة في الأوساط الإسلامية أقبل المسلمون بأعداد كبيرة لقضاء مناسك الحج، حتى بلغت الزيادة في أعداد الحجاج خلال السنتين الأولى من دخول الملك عبدالعزيز الحجاز مائتان وخمسين ألفاً، بل أن مجلة الفتح ذكرت أن حجاج هذا العام بلغ عددهم أكثر من ذلك بكثير، حيث نقلت عن جريدة الأخبار الصادرة يوم الاثنين ١٣٤٥/١٢/٢٧هـ حديث نسب لعظيم من عظماء القطر المصري (دون أن يذكر اسمه) تحت عنوان (خلاصة حديث عن حج هذا العام (أي حج عام ١٣٤٥هـ) قوله : "الحكومة قدرت عدد الحجاج بمئتين وعشرين ألفاً لكن العارفين يقولون أنهم أكثر من ذلك بكثير"[٣٠]. كما أشارت مجلة الفتح على لسان أحد العلماء إلى عدد الحجاج سنة ١٣٤٥هـ فقالت تحت عنوان (أنباء الحج): "قالت وصيفتنا (الصراط المستقيم) التي تصدر في يافا: أبرق إلينا فضيلة العالم الحافظ الورع التقي الشيخ صالح التونسي من بور سودان هذه البرقية: "وقفنا الخميس باتفاق جميع المذاهب. تمت المناسك. الحج سالم. الصحة العامة جيدة. جلالة الملك ابن السعود كساء الكعبة من ماله الخاص. بلغ عدد الحجاج مائتين وخمسين ألفاً. الأحوال من حيث العموم طيبة[٣١]. الجدير بالذكر أن أعداد الحجاج تفاوتت من سنة لأخرى حيث تحكمت في ذلك ظروف البلاد الإسلامية وأمن طرق الحج خارج نطاق حكم الدولة السعودية، فكان مثلاً للحرب العالمية أثرها في إحجام الكثيرين عن المجيء للحج، كما أدت الأزمات الاقتصادية العالمية، أو ما يسمى (الكساد الكبير)، والذي تزامن مع الحربين العالميتين الأولى والثانية وما بينهما، إلى تناقص أعداد الحجاج القادمين من الخارج.

وسوف أورد بعض المقتطفات مما جاء في مجلة الفتح المصرية مما يؤكد لنا زيادة الحجاج من سنة لأخرى، وكانت تذكر الإحصائيات القادمة أولاً بأول خاصة القادمين عن طريق البحر، فتحت عنوان (في الحجاز) قالت مجلة الفتح: "بلغ مجموع الحجاج الذين وصلوا إلى الحجاز بطريق البحر حتى أول يناير الجاري ٩٦٢٥ نسمة مقابل ٨٧٢٠ في التاريخ نفسه من العام الماضي. وهذا يدل على أن موسم الحج هذا العام سيكون حافلاً" [٣٢]. وقد زادت الأعداد القادمة فقالت الفتح في عدد آخر: بلغ مجموع الحجاج القادمين إلى جدة عن طريق البحر هذا العام حتى أوائل رمضان ٣١٠٢٧ نسمة" [٣٣]. وعن زيادة الأعداد من سنة لأخرى قالت الفتح تحت عنوان (حجاج بيت الله): "بلغ مجموع الحجاج القادمين إلى مكة عن طريق البحر في هذا العام حتى يوم ٧ شوال الجاري ٣٨٣٨٦ نسمة ويقابل ذلك في التاريخ نفسه من العام الماضي ٣٥٩٥٤" [٣٤]. وقد أوردت الفتح إحصائية لحجاج عام ١٣٤٨هـ القادمين عن طريق البحر موزعة حسب الجنسيات والكبار والصغار، وقد بلغ المجموع الكلي لهم ٨٤٨٢١ حاجاً [٣٥]. وقد ذكر شكيب أرسلان أن عدد الحجاج بلغ في هذه السنة مائتي ألف حاج [٣٦].

---

(٢٩) صحيفة أم القرى، ع٢٦٧ في ١٣٤٨/٨/١٧هـ، ص١.

(٣٠) مجلة الفتح، س٢، ع٥١، غرة محرم ١٣٤٦هـ، ص٩.

(٣١) مجلة الفتح، س٢، ع٥١، غرة محرم ١٣٤٦هـ، ص٣.

(٣٢) مجلة الفتح، س٢، ع١٣١، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ، ص٥.

(٣٣) مجلة الفتح، س٣، ع١٣٨، ٢٥ رمضان ١٣٤٧هـ، ص١٥.

(٣٤) مجلة الفتح، س٤، ع١٩١، الخميس ١٩ شوال ١٣٤٨هـ، ص١٥.

(٣٥) مجلة الفتح، س٥، ع٢٠٥، الخميس ٢٩ المحرم ١٣٤٩هـ، ص٧.

(٣٦) الارتسامات اللطاف، ص١٩.

وتحت عنوان (حجاج تونس والجزائر) قالت مجلة الفتح: "كثر عدد الحجاج من الجزائر وتونس في هذه السنة (١٣٥٣هـ) كثرة لا نظير لها في السابق، فقد سافر في باخرة واحدة ٥٠٠٠ حاج من الجزائر، وينتظر أن يسافر ألوف أخرى من تونس"[٣٧].

وفي رصد تاريخي لأعداد الحجاج قام به المحلل الاقتصادي أحمد الزمامي مستنداً إلى تقارير رسمية صادرة عن جهات حكومية ذكر أن عدد الحجاج القادمين إلى مكة خلال السنوات فيما بين ١٣٤٥ هـ حتى ١٣٥٤هـ، أي عشر سنوات من أوائل سنوات إشراف الملك عبد العزيز على الحج بلغ (٥٤٠) ألف حاج [٣٨]. وهذا نرى كيف أدّت الخدمات والجهود التي قدمها الملك عبد العزيز في خدمة بلاد الحرمين الشريفين إلى إقرار الأمن وتأمين الراحة الكافية للمسلمين في أنحاء المعمورة، فهبوا لتأدية الركن الخامس من أركان الإسلام، وهم فرحون مستبشرون بما من الله به على بلاد الحرمين.

النتائج والمناقشة:

- أن الاهتمام بخدمة ضيوف بيت الله الحرام نهج سار عليه المؤسس رحمه الله، وتبعه أبناؤه من بعده.
- أن الملك عبد العزيز نجح في تحقيق هدفه في توفير الأمن والراحة لأهل مكة والقادمين إليها من الحجاج والمعتمرين.
- وضوح حرص الملك عبد العزيز على توفير كل ما هو جديد ومفيد في سبيل خدمة وراحة الحجاج والأهالي.
- الاستفادة من الخبرات السابقة في الرأي والمشورة وكذلك في التنفيذ.
- أن أعمال الملك عبد العزيز وإجراءاته كانت محل تقدير عامة المسلمين، ومثار إعجاب المثقفين والصحفيين، فضلاً عن كبار المسؤولين.
- أن الإحصائيات المعاصرة أثبتت مدى تأثير أعمال الملك عبد العزيز وما قدمه من خدمات في تزايد أعداد الحجاج بشكل واضح عن ما كانت عليه الأعداد قبل ضم الملك عبدالعزيز لبلاد الحجاز.

الخلاصة:

خدمة الحجاج من أهم أولويات الملك عبد العزيز رحمه الله، والذي انعكس أثره عليهم من خلال تزايد أعدادهم سنويًا.

التوصيات:

- إن سياسة الملك عبد العزيز في التعامل مع الوضع في بلاد الحجاز ونجاحه في إحداث تغيير إيجابي مذهل في الأوضاع في المنطقة خلال سنوات معدودة، جديرة بأن تكون نبراساً في معطياتها ونتائجها على المستويين المحلي والعالمي، يستفاد منها في رؤية المملكة الحالية ٢٠٣٠.
- إلقاء المزيد من الأضواء على الدراسات والأبحاث على بدء الانطلاقة القوية لخدمة الحرمين الشريفين والتي بدأت في عهد المؤسس الملك عبد العزيز رحمه الله واستمرت في عهود أبنائه الميامين ممن تعاقبوا على الحكم من بعده حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من تطور منقطع النظير في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه وولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان حفظه الله، والتي تؤكد في الوقت نفسه جدارة بلادنا بتولي رعاية الحرمين الشريفين.

مراجع البحث:

- إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ.
- إبراهيم عبد القادر المازني، رحلة الحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- إبراهيم بن عويض العتيبي: الأمن في عهد الملك عبد العزيز، تطوره وأثاره (١٣١٩ ـ ١٣٧٣هـ)، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ.
- إبراهيم عويض العتيبي: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، الرياض، العبيكان، ١٤١٤هـ.
- سليمان محمد الخضيري: أمن الحج في عهد الملك عبد العزيز، مجله الأمن، العدد السابع عشر، ذو القعدة ١٤١٣هـ، الإدارة العامة للعلاقات بوزارة الداخلية.
- شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ط١، مطبعة المنار، مصر، ١٣٥٠هـ.

---

(٣٧) مجلة الفتح، س٩، ع٤٣٥، ٢٤ ذي القعدة ١٣٥٣هـ، ص١١.

(٣٨) https://ajel.sa/local/1937586

- عادل بن محمد نور غباشي، جهود الملك عبد العزيز في عمارة عين عرفة، (مقال)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٢، ع٢٠، ١٤٢١هـ
- عبد العزيز بن سليمان المقبل، أمن الحج في عهد الملك عبد العزيز، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٦، العدد ٣٢
- لطيفه عبد العزيز السلوم: التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م . ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، دراسة تاريخيه وثائقية، فهرسه مكتبه الملك فهد الوطنية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- منى بنت قائد آل ثابتة القحطاني: التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبد العزيز آل سعود، ط١، دارة الملك عبد العزيز الرياض ١٤٢٦هـ
- وليد محمد الجميل: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣ – ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ
- صحيفة أم القرى /
  - صحيفة أم القرى، ع٩٦، ١٣٤٥/٤/٨هـ
  - صحيفة أم القرى، ع٥٢٥، في ١٣٥٣/٩/٢٨هـ
  - صحيفة أم القرى ع٥٢٤، في ١٣٥٣/٩/٢١هـ
  - صحيفة أم القرى ع٥٥٧، في ١٣٥٤/٥/١٦هـ
  - صحيفة أم القرى ع ٥٥٨، في ١٣٥٤/٥/٢٣هـ
  - صحيفة أم القرى، ع١٤١، في ١٣٤٦/٢/٢٨هـ
  - صحيفة أم القرى، ع٢٤٠، في ١٣٤٨/٢/١٩هـ
  - صحيفة أم القرى، ع٢٤٠ في ١٣٤٨/٢/١٩هـ
  - صحيفة أم القرى، ع٢٦٧ في ١٣٤٨/٨/١٧هـ
- مجلة الفتح/
  - مجلة الفتح، س٢ ، ع٥١ ، غرة محرم ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٢ ، ع٨٢ ، ١٠ شعبان ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٢ ، ع١٠٠ ، ٢٥ ذي الحجة ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٥ ، ع٢٢٦ ، ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ
  - مجلة الفتح، س٢ ، ع٦٤ ، ٤ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٢، ع٧١، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٢، ع٧٤، ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س١٣، ع٦٤٤، ١٨ المحرم ١٣٥٨هـ
  - مجلة الفتح، س٢، ع٥١، غرة محرم ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٢، ع٥١، غرة محرم ١٣٤٦هـ
  - مجلة الفتح، س٢، ع١٣١، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ
  - مجلة الفتح، س٣، ع١٣٨، ٢٥ رمضان ١٣٤٧هـ
  - مجلة الفتح، س٤، ع١٩١، الخميس ١٩ شوال ١٣٤٨هـ
  - مجلة الفتح، س٥، ع٢٠٥، الخميس ٢٩ المحرم ١٣٤٩هـ
  - مجلة الفتح، س٩، ع٤٣٥، ٢٤ ذي القعدة ١٣٥٣هـ